## المقدمـة

الصوت ظاهرة طبيعية قد يكون ناجماً عن اصطدام جسم بآخر،أو سقوط جسم أوغير ذلك،وقد يكون صادراَ عن إنسان أو حيوان ،وفرق العلماء بين الأصوات الطبيعية،وهي التي تحدث بفعل أي ظاهرة طبيعية،وبين الأصوات التي يصدرها الإنسان.إذ إن الجهاز النطقي لدى الإنسان قادراً على إصدار أصوات لاحصر لها فلا يمكن أن يكون كل صوت يصدره الإنسان مفهوماً،فالصوت حتى يكون لغوياً لابد أن يكون صادراً بقصد عن المتكلم.

وقد اهتم العلماء بدراسة الأصوات اللغوية،ولهم في ذلك جهود كبيرة يشار إليها بالبنان نمت عن إدراكهم لطبيعة الصوت اللغوي ومعرفتهم بالقوانين والقواعد لتلك الأصوات،ولعلماء التجويد جهودٌ قيمة في هذا الجانب إذ جعلوا من دراسة الأصوات المادة الأساس التي قامت عليه دراستهم وأصولهم المعرفية فشكلت جهودهم الهيكل العام لتراثنا اللساني ببعده الصوتي على نحو الخصوص.

وكل أولئك ذخيرة مهمة في فرع من فروع علم اللغة ونعني به الصوتيات ذلك الفرع الذي نال عنايةً فائقةً من لدن الدارسين في العصر الحديث في ضوء ما تطور عليه علم صوتيات اللغة.ومن كتب التجويد الذائعة الشهرة والتي حظيت باهتمام العلماء (المقدمة الجزرية) فقد عنى بها الدارسون وكَثُرت شروحها منذ عصر المؤلف حتى عصرنا،ومن بين تلك الشروح شرح المقدمة الجزرية للشيخ عبد الحسين بن جواد بن عبد الحسين المبارك.فالمتأمل في هذا الشرح يجده مكملاً للدراسة الصوتية السابقة ويهيئ مساحة للدراسة والبحث.فالشارح كان يذكر الآراء الصوتية المجمع عليها عند أهل اللغة معرضاً عن ذكر الخلاف الذي سعى جاهداً إلى عدم الولوج فيه أو ذكره.

ومن هنا جاء اختيارنا لهذا الشرح للكشف عن آراء مؤلفه في مخارج الحروف وصفاتها.

وقد تبنينا في هذا البحث منهجاً علمياً يقوم على تقسيم البحث على قسمين:تناولنا في قسمه الأول بيان مخارج الحروف من حيث:معنى المخرج، وعدد المخارج، واهم نقاط الاختلاف بينه وبين سيبويه في تحديد مخارج الحروف.

أما القسم الثاني فقد بحثنا فيه صفات الحروف من حيث:معنى الصفة، وأسس تقسيمها ، ثم بحث كل صفة صوتية ذكرها الشارح على حدة .

وجاءت الخاتمة لنقف فيها أمام أبرز النتائج التي تمخض عنها البحث.

إنَّ هذا البحث جاء للكشف عن الآراء الصوتية لهذا العالم الجليل في مجال مخارج الحروف وصفاتها ومساهمته في رفد المكتبة الصوتية العربية كما هو موضح من عنوان البحث.

---

* لم اعثر على ترجمة للشيخ في المصادر التي اطلعت عليها.

**المبحث الأول:مخارج الحروف عند الشيخ المبارك**

**١- تعريف المخرج:**

يعرف المخرج (اصطلاحاً) بأنه عبارة عن موضع يعترض لمجرى الهواء في آلة النطق [١]، لذا فقد اهتم العلماء بتحديده بدقة وهذا يعتمد على الخبرة في تذوق الأصوات اللغوية.

إذ إنه يشير إلى ابعد نقطة مخرجية يمكن تحسسها ،وقد تناول الشيخ المبارك مخارج الحروف وذلك التزاما منه بمنهج صاحب المقدمة التي شرحها،فعرفه بأنه:((عبارة عن الحيز المولد للحرف)) [١].

---

[١] ) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٢٢

وفي هذا التعريف نجد أنه استعمل لفظة الحيز على الرغم من انه مصطلح عام لأنه ((أوسع من المخرج ويتمثل بالفراغ الذي يشغله الصوت في الحلق والفم)) [٢] وذلك لأنه عندما تحدث عن المخارج بدأ بالإجماع ثم التفصيل،أي أنه بدأ بالمخارج الكلية ثم الجزئية.فذكر أربعة مخارج كلية وهي مايأتي [٣] .

١. جوف الفم:وهو مخرج أصوات المد الثلاثة(الألف،والواو،والياء).
٢. الحلق:وهو مخرج لستة أصوات حلقية ويقسم إلى ثلاثة أجزاء:أقصاه،ووسطه،وأدناه إلى الفم.
٣. اللسان:وهو مخرج لثماني عشر صوتاً، قال:((اعلم أن اللسان له ثمانية عشر حرفاً لعشرة مخارج، وله أقصى ،ووسط ،وحافة ، وطرف)) [٤].
٤. الشفة:وهي مخرج لأربعة أصوات تسمى الأصوات الشفوية.

وهو بهذا يكون متابعاً لمن سبقه من علماء التجويد الذين قسموا المخارج إلى كلية يشترك فيها أكثر من صوت وإلى مخارج جزئية لا يصدر منها إلا صوت واحد.

وقد أشار محمد بن أبي بكر المرعشي (ت١١٥٠هـ )إلى هذا التنبيه من خلال مصطلحي المخرج الجزئي والمخرج الكلي ، إذ قال: ((أقول تلفظ حرف من مخرج آخر مشارك له في مخرج كلي من المخارج السبعة عشر كتلفظ الدال في مخرج الطاء أو التاء أو بالعكس ممكن بتكلف يسير،ولا يؤدي ذلك إلى تغيير الحرف عن حقيقته مادام صفاته المميزة له باقية، فهو ليس بحرام ولا مكروه تحريمي بل هو خلاف ما استحب لأنه تغيير يسير... وإنما عين لكل

---

[١] ) شرح المقدمة الجزرية :٩٢.
[٢] ) مقدمة في التراث المعجمي العربي : حلمي خليل ، ص ١٣٢.
[٣] ) ينظر : شرح المقدمة الجزرية،ص ٩٢، ٩٣ ، ٩٤.
[٤] ) شرح المقدمة الجزرية، ص ٩٣.

حرف من الحروف المتحدة في المخرج الكلي مخرج جزئي لأن ذلك مقتضى الطبع المستقيم)) [١].

٢- **عدد المخارج**:إنَّ تحديد نقطة معينة لخروج الحرف لا يزال محل دراسة من قبل علماء الأصوات ، لذا فإنَّ علماء العربية وعلماء التجويد حددوا موضعاً معيناً لكل حرف، وتتباين الآراء في تحديد المخارج ؛وذلك لاتساعها، وذكر الشارح العلامة هذا الاختلاف ،فقال: ((أما مخارجها فأختُلِف فيها ،فقال سيبويه واتباعه ستة عشر مخرجاً،وقال الخليل بن أحمد:سبعة عشر)) [٢].

وهذا الرأي المنسوب للخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)من أنه جعل مخارج الحروف سبعة عشر مخرجاً يحتاج إلى تحقيق ،فالخليل لم يقل إنها سبعة عشر مخرجاً،وإنما حددها بثمانية مخارج فضلاً عن وضعه (الألف والواو والياء)ضمن المجموعة الهوائية دون أن ينسبها إلى مخرج محقق لذا يرجح أن علماء التجويد أضافوا إلى مخارج سيبويه مخرج الهوائية الذي ذكره الخليل [٣].

أما الشارح فقد تابع رأي المصنف في عدد المخارج فهي عنده سبعة عشر مخرجاً،وعلى النحو الآتي:

١. **جوف الفم** :ذكر الشارح جوف الفم وهو مخرج (( حروف المد ثلاثة ؛الألف معه،والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها.يخرجن من جوف الفم.والحرف ليس هو حرف ينتهي إليه بل هو حرف ينتهي بانتهاء الهواء)) [٤] .

---

[١] ) جهد المقل : ١٣٩ ـ ١٤٠ .
[٢] ) شرح المقدمة الجزرية : ص ٩٢ .
[٣] ) ينظر: العين:٥٨/١ .
[٤] ) شرح المقدمة الجزرية :٩٢.

٢. **الحلق**:ويقسم إلى ثلاثة مخارج قال الشارح: ((اعلم إنَّ الحلق ثلاثة مخارج لستة أحرف:الهمزة والهاء لأقصى الحلق مما يلي قصبة الرئة،والعين والحاء المهملتين من وسط الحلق،والغين والخاء المعجمتين من أدنى الحلق من الفم)) [١] .

٣. **اللسان**:وذكر الحروف اللسانية مقسمة من أقصاه إلى طرفه،وهي مايأتي [٢] :

أ- القاف من أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى.

ب- الكاف من أقصى اللسان أيضاً لكنها أسفل من القاف وهي أقرب إلى الفم من القاف.

ت- الجيم والشين والياء من وسط اللسان.

***ث***- الضاد من احد حافتي اللسان وما بينهما من الأضراس التي في الجانب الأيسر والأيمن .

ج- ***اللا***م وتمتد من طرف اللسان وما يحاذي ذلك من الحنك الأعلى فوق الضواحك والأنياب والرباعيات والثنايا.

ح- النون من طرف اللسان تحت اللام قليلاً.

خ- الراء يقارب مخرج النون وهو أدخل في ظهر اللسان.

د- الطاء ،والدال ،والتاء من فوق طرف اللسان والثنيتين العليتين.

ذ- السين ،والصاد ،والزاي من طرف اللسان فوق الثنيتين العليتين.

ر- الظاء ،والذال ،والثاء من طرف اللسان وطرف الثنيتين العليتين.

٤- **الشفة**: وتُوَّزع الحروف الشفوية على مخرجين هما [٣]:

---

[١] ) م . ن : ٩٢.
[٢] ) ينظر : م . ن : ٩٣ ـ ٩٤.
[٣] ) ينظر : م . ن : ٩٤.

أ- باطن الشفة السفلى وطرف الثنيتين العليتين (الفاء).

ب- من بين الشفة العليا والسفلى :الواو ،والباء، والميم ،لكن الواو بانفتاح والميم والباء بانطباق.

٥- **الخياشيم**:لم يشر إلى هذا المخرج صراحة غير انه ذكره بعد الانتهاء من ذكر المخارج في حديثه عن صفة الغنة إذ،قال: (( والغنة صفة تابعة للنون الساكنة والتنوين، كذلك الميم عند سكونها، أو الإدغام ،أو ما في حكمه كالإخفاء والاقلاب حيث لا إظهار)) [١] .

ومن خلال إعادة النظر في المخارج عند سيبويه والشارح العلامة يمكن ان نسجل الملاحظات الآتية:

١. ذهب سيبويه إلى أن أقصى الحلق هو مخرج (ء،هـ ،ا ) أما الشارح فقد خص مخرج أقصى الحلق لـ( ء ،هـ ) دون الألف التي وصفها بأنها الجوفية.
٢. استخدم سيبويه عبارة (فويق ) في تحديد مخرج القاف، في حين يستخدم الشارح عبارة (مايحاذيه)في تحديد مخرج القاف.
٣. استخدم سيبويه عبارة (الثنايا )من غير أن يحدد الثنايا العليا أو السفلى ، في حين أن الشارح يستخدم عبارة الثنيتين ويحدد هل هي الثنايا العليا أو السفلى فيكون بذلك أكثر تحديداً.
٤. استخدم سيبويه عبارة ( من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى) في تحديد مخرج الفاء ، أما الشارح فقد كان أكثر تحديداً فذكر أنها تخرج من (الشفة السفلى وطرف الثنيتين العلييتين).
٥. فرق الشارح بين (الواو والياء ) الجامدتين والذائبتين في المخرج والصفة، فقد ذكر الواو مع الحروف الشفوية ، وذكر الياء مع أحرف وسط اللسان وأفرد لهما

---

[١] ) م . ن :٩٥.

مخرجاً مستقلاً من جوف الفم مع الألف وحدد طبيعة حروف المد بأنها لاتنتهي إلاَّ بانتهاء الهواء القادم من الرئتين.

٦. حدد سيبويه مخرج الضاد بأنه (( من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس )) [١]

وشرح كيفية النطق بالصوت وذلك بأن(( تحولها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين)) [٢] .

أما الشارح فقد ذكر أنها تخرج من(احد حافتي اللسان وما بينهما من الأضراس التي في الجانب الأيسر والأيمن) وهذا الوصف لاينطبق على الضاد الفصيحة بل على الضاد الضعيفة التي قال عنها سيبويه : (( إن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف لأنها من حافة اللسان مطبقة فسهل تحويلها إلى الأيسر لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلى

مثل ما كانت في الأيمن)) [٣] .

ويبدو أن الشارح قد تابع في وصفه للضاد ما ذكره المصنف، لأنه صوت صعب النطق لذا فنطقه قد اختلط بالظاء منذ زمن بعيد ،فغدا هذا الصوت بحسب النطق المعاصر صوت أسناني لثوي على حد تعبير المحدثين [٤] فهو من مخرج ( د ،ت، ط ) لذا فإن منهم من جمعه مع الأصوات ( ل ر ن ، ط د ت ض ، س ص ز ) في مخرج واحد [٥] .

٨. أما عن ترتيب الأصوات في المخرج الواحد فقد كان الشارح موافقاً لترتيب سيبويه إلاّ في أصوات طرف اللسان وفويق الثنايا ،فقد رتبها سيبويه ( ز س ص )

---

[١] ) ينظر: م.ن ٤٣٣/٤.
[٢] ) ينظر: م.ن ٤٣٣/٤.
[٣] ) ينظر: م.ن ٤٣٣/٤.
[٤] ) ينظر : الأصوات اللغوية:٥٨.
[٥] ) ينظر : التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية):٤٩.

ورتبها الشارح ( س ص ز) لأن السين أدخل والزاي اخرج والصاد متوسط بينهما وهذا ما أكده الدرس الصوتي الحديث [١]

٩. وخالفه أيضا في ترتيب الأصوات الشفوية فهي عند سيبويه( ب م و ) في حين هي عند الشارح (و ب م ) لأنه لاحظ حالة الشفتين فقدم الانفتاح على الانطباق لأن الواو تنطق بانفتاح الشفتين والميم والباء بانطباقهما.

**المبحث الثاني:صفات الحروف**

لا يتميز الصوت بصورة نهائية إلا بعد التعرف على النقطة المحددة (المخرج) وهيئته المحددة بصفته الصوتية. ولذا عُدَّ مبحث الصفات من المباحث المكملة لمبحث المخارج ، إذ لا تتحدد هوية الصوت إلا بمعرفة صفته الصوتية.

وقد عرَّف العلماء الصفة بأنها (( كيفيات تتميز بها الحروف المشتركة بعضها عن بعض كما تتميز غيرها بالمخارج إذ المخرج للحرف كالميزان تعرف به كميته ، والصفة كالناقد تعرف به كيفيته)) [٢] وهي تشير إلى ((الحالات التي يتصف بها الحرف المنطوق من قوة أو ضعف أو جهر أو همس أو شدة أو رخاوة ، أو ما أشبه ذلك مما يصاحبه في مخرجه)) [٣] .وقد ذكر الشارح العلامة أهمية تحديد صفات الأصوات وإنها تعد الفاصل في تحديد ((الفارق بين ذوات الحروف لأنه لولا هي لأتحدت أصواتها كأصوات البهائم لاتدل على معنى )) [٤] .

وتباينت آراء العلماء في تحديد عدد الصفات قال الشارح: (( ولها انقسامات كثيرة ذكر بعضهم أربعة وأربعين .وزاد بعضهم وانقص آخرون )) [٥]

---

[١] ) ينظر : علم اللغة العام (الأصوات) :١١٦.

[٢] ) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة ، هامش المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية:١٤.

[٣] ) معجم الصوتيات:١١٢.

[٤] ) شرح المقدمة الجزرية : ٩٥

[٥] ) م .ن : ٩٥، فقد عدها سيبويه سبع عشرة صفة(الكتاب ٤٣٤/٤) وجعلها ابن جني اثنتين وعشرين(سر صناعة صناعة الإعراب ٦٨/١) وجعلها مكي أربعاً وأربعين وسماها القاباً (الرعاية ١٣٣) في حين يرجح الداني إلى أنها ستة عشر صنفاً (التحديد ١٠٧).

وكان الشارح متابعاً للمصنف فتحدث عن الصفات التي أوردها في أبيات مقدمته وهي سبع عشرة صفة لكن أضاف إليها بعض الشروح التوضيحية.

أما منهجه فقد كان يورد الصفة ثم يذكر حروفها ثم تعريفها ، وقد لايذكر تعريف الصفات المتضادة اعتماداً على تعريف أضدادها . أي انه يكتفي بتعريف الضد فقط.

**. تقسيم الصفات :**

انفرد علماء التجويد المتأخرون بإيجاد منهج جديد في دراسة الصفات ، وهو منهج مبني على أسس علمية واضحة هدفها تيسير دراسة الصفات فقسمها المرادي (ت ٧٤٩هـ ) إلى صفات محسنة وأخرى مميزة [١]، وقسمها عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ ) إلى صفات لها أضداد وصفات لااضداد لها [٢] .

أما الشارح العلامة فقد قسمها إلى صفات الأصل وصفات العارض، فقال في معرض حديثه عن منهج صاحب المقدمة الجزرية (( لما ذكر صفات الأصل شرع في صفات العارض)) [٣] ولم يعرف صفات الأصل واكتفى ببيان صفات العرض ، فقال:(( وهي التي اختصت ببعض الحروف دون بعض من غير تحقق وجود أضدادها)) [٤] ونفهم من كلامه أنَّ صفات الأصل هي الصفات التي لها أضداد ،وصفات العارض هي الصفات التي لااضداد لها.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذا التقسيم وفق هذين المصطلحين لم يسبق إليه ، وقد استخدم قبله السمرقندي (ت ٧٨٠هـ ) مصطلح الصفات العارضية في مقابل

---

١ ) المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد:٥٢.
٢ ) ينظر: كفاية المستفيد :٥ظ ، نقلاً عن المدخل إلى علم أصوات العربية : ٩٩.
٣ ) شرح المقدمة الجزرية : ٩٧.
٤ ) م. ن : ٩٧.

الصفات الذاتية لكنه لم يقصد بالعارضية ماقصده الشارح بل أراد بها الصفات التي تعرض للحرف في بعض أحواله ، وتنفك عنه في بعضها الآخر لسبب من الأسباب وتشمل الروم والإشمام والوصل والفصل والتفخيم والترقيق والإشباع والاختلاس ... الخ ،ثم قال: (( وأمثلة ذلك كثيرة لاتعد ولاتحصى)) [١] .

واستخدام مصطلح العارض لايفصح عن المضمون كما أنه لايتصف بالدقة التي اتصف بها غيره من المصطلحات المعبرة عن هذين القسمين.

أما أهم الصفات الصوتية التي ذكرها ، فهي مايأتي :

١. **الهمس والجهر**: ذكر الشارح صفتي الهمس والجهر ، فقال : (( حروف الهمس يجمعها قولك : فحثه شخص سكت . والباقي مجهورة وهي تسعة عشر حرفاً ... وإنما سميت كذلك لقوة الاعتماد عليها في مخارجها ، وتمنع النفس أن يجري معها عند النطق )) [٢] .

وكان الشارح قد استفاد من تعريفات الذين سبقوه ممن استطاع أن يغير من الألفاظ التي استخدمها سيبويه ، وذلك مما يساعد على زيادة توضيح العبارة ، قال مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ ) : (( معنى الجهر أنه حرف قوي يمنع النفس أن يجري معه عند النطق به لقوته ، وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه )) [٣] .

أما مفهوم الجهر والهمس عند المحدثين فيتميز عن مفهومه عند القدامى بالتأكيد على الدور الذي يؤديه الوتران الصوتيان في إحداثهما ، فقد لاحظ هؤلاء

---

[١] ) روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد : ٥٥.

[٢] ) شرح المقدمة الجزرية : ٩٥.

[٣] ) الرعاية لتجويد القراءة وتحسين لفظ التلاوة:١١٦- ١١٧.

أنَّ الأصوات المجهورة هي الأصوات التي يتذبذب معها الوتران الصوتيان ، أما المهموسة فلا تصحبها تلك الذبذبة.

٢. **الشدة والرخاوة والتوسط بينهما** : يعتمد هذا التصنيف على نوع الاعتراض ودرجته في المخرج ، وذكر الشارح هذا التقسيم وبين كيفيته ،ثم أحصى وبدقة أصوات كل قسم منها ،فقال : (( من الحروف ماهو شديد محض ، وما هو رخو محض)) [١] ،ثم قال: (( إنَّ بعض الحروف متوسط بين الرخوة والشديدة)) [٢]

وهو بذلك موافق لسيبويه وعلماء العربية في بيان الهيئة المصاحبة لتكون هذه الأصوات ، فوصف الحروف الشديدة بأنها الحروف التي (( لزمت لموضعه حتى تمنع الصوت أن يجري فيها)) [٣] ،أما الحروف الرخوة فعلى الرغم من انه لم يعرفها صراحة لكن يمكن أن نستنتج مفهومه لها من خلال تعريفه للأصوات المتوسطة ، التي قال عنها بأن (( النفس لم ينحبس معها ولم يجر)) [٤] ،ويفهم من هذا أنّ الأصوات الرخوة هي التي يجري معها الصوت ولاينحبس.

أما عن عدد أصوات كل قسم من هذه الأقسام فقد ذكرها الشارح متابعاً المصنف قائلاً : (( الحروف الرخوة ،هي ستة عشر حرفاً :الحاء ،والسين المهملتان ،والخاء المعجمة والظاء والشين المعجمتان ،والهاء والزاي ،والصاد والواو المهملتان ،والضاد والغين المعجمتان، والثاء المثلثة ، والياء والألف والفاء والذال المعجمتان)) [٥] .

وهو بإدخاله أصوات المد (الألف والواو والياء) مع الأصوات الرخوة يكون قد خالف سيبويه وبقية العلماء،ولو أردنا تفسير سبب وضعه لهذه الأصوات ضمن هذه

---

١ ) شرح المقدمة الجزرية ٩٦.
٢ ) م. ن ٩٦.
٣ ) م. ن ٩٦.
٤ ) م. ن ٩٦.
٥ ) م. ن ٩٦.

المجموعة لوجدنا أنَّ ذلك يعود إلى أنها أصوات اتسعت فلم يصحبها حبس وانفتاح فيكون الصوت شديداً ، ولم ينحصر الصوت في مخرجه ثم يجري من موضع آخر فيكون الصوت متوسطاً ، فلم يبق سوى وصفه بالرخاوة.

فاتساع مخارجها جعلها أقرب إلى الأصوات الرخوة.

كذا الحال في الأصوات المتوسطة، فقد تابع الشارح رأي المصنف وهو عدّها خمسة أصوات على الرأي المشهور خلافاً لمن جعلها ثمانية أصوات [١] .

٣. **الاستعلاء والاستفال:** قال الشارح (( حروف الاستعلاء وهي غير الهمزة ، والباء ،والتاء ، والثاء،والجيم ، والحاء ، والدال ،الذال ،والراء ،والزاي ،و السين ،والشين ،والعين ، والفاء ، والكاف،واللام ، والميم ، والنون ، والهاء ، والواو ، والياء ، والألف ، وإنما سميت بذلك لأن اللسان يستعلي )) [٢] .

فهو يكتفي في حديثه بذكر حروف الاستفال دون تعريفه وبيان معناه معتمداً على تعريفه للاستعلاء، وكلامه جاء مؤكداً لكلام من سبقه من العلماء وإن كانت عبارته شديدة الإيجاز إلاَّ أنها أكثر دقة من عبارة سيبويه، فهو يحدد الجزء المستعلي فيقول:(( سُمّيت بذلك لأن اللسان يستعلي)) بينما كانت عبارة سيبويه مقتضبة فاكتفى بالقول: (( حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى)) [٣] .

٤. **الإطباق والانفتاح :** ويعتمد هذا التقسيم على حالة أقصى اللسان عند النطق بأصوات طرف اللسان خاصة.

وذكر الشارح هاتين الصفتين وابتدأ بذكر صفة الانفتاح ثم أعقبه بالإطباق ،فقال: (( فما عدا هؤلاء الحروف الأربعة _ وهي خمسة وعشرون حرفاً _ حروف الانفتاح ، وإنما سُمّيت بذلك لأن اللسان ينفتح ما بينهما وما بين الحنك

---

[١] ) ينظر: الرعاية ١١٩.
[٢] ) شرح المقدمة الجزرية ٩٦.
[٣] ) الكتاب ٤/ ١٢٩.

ويخرج الريح عند النطق بها . وإنما سُمّيت الحروف الأربعة مطبقة لإطباق طائفة من اللسان إلى الحنك الأعلى)) [١] .

أما عن حقيقة الإطباق عند المحدثين ، فقد عرفوا الصوت المطبق بأنه الصوت الذي(( يرتفع طرف اللسان وأقصاه
نحو الحنك ويتقعر وسطه)) [٢] .

٥- **الذلاقة والاصمات** : ذكر الشارح صفتي الذلاقة والاصمات ، لكن عبارته شديدة الإيجاز فاكتفى بالحديث عن صفة الاصمات وبين سبب تسميتها مصمتة ، فقال: (( وإنما سُمّيت بذلك لأنّها مأخوذة من الصمت الذي هو المنع ، فانهم لما لم يجعلوها متطوعاً بها اصمتوها أي: جعلوها صامتة)) [٣].

وقد أهمل الكثير من العلماء ذكرهما ، وأصلهما يعود إلى الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ ) فقد ذكرهما في معرض حديثه عن الصفات الصوتية وبين المقصود بالذلاقة ، وهي أخف الأصوات وأحسنها امتزاجاً بغيرها [٤] [٢]

أما أصواتها فهي ستة أصوات ،ثلاثة منها من طرف اللسان ،وهي (اللام ،والراء ،والنون) وثلاثة شفوية ، وهي (الفاء ، والباء ، والميم).

أما الاصمات فتطلق على أصوات صُمِت ان يتكلم بها وتبنى منها ،ولايوجد بناء رباعي مصمت الأصوات إلا خالطه صوت من أصوات الذلاقة [٥] .

---

[١] ) شرح المقدمة الجزرية ٩٦.
[٢] ) الأصوات اللغوية ٤٧_ ٤٨.
[٣] ) شرح المقدمة الجزرية ٩٦.
[٤] ) ينظر : العين ٥١/١.
[٥] ) ينظر: م . ن ٥٢/١.

ولعل سبب خلو كتب اغلب علماء التجويد من ذكر هاتين الصفتين أنها وضعت لغاية معجمية خاصة إذ تعد معيار لمعرفة أصالة الألفاظ في الكلام العربي بدليل قول الخليل:((لستَ واجداً من يسمع كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلاَّ وفيها من حروف الذلق والشفوية واحداً أو اثنان أو أكثر)) [١] .

كما أنهما معياراً لمعرفة المهمل والمستعمل ، وقياس أكثر الألفاظ دوراناً في كلام العرب.

٥. **الصفير**: عرّف الشارح الصفير ،فقال: (( صاد وزاي وسين موصوفة بالصفير وهو صوت زائد بين النفس يصحب الحروف عند خروجها)) [٢] .

وقد ذكر سيبويه هذه الصفة عند حديثه عن الأحكام التعاملية لهذه الأصوات أثناء حديثه عن ظاهرة الإدغام [٣] وقد أوضح المبرد (ت ٢٧٥هـ ) معنى هذه الصفة بشكل دقيق ، فقال: (( حروف الصفير ، وهي حروف تنسل انسلالاً ، وهي السين والصاد والزاي)) [٤]

وكان وصف المحدثين مطابقاً لوصف القدماء ووصفوا به الأصوات الثلاثة (السين والصاد والزاي ) كما تحدثوا عن آلية حدوث الصفير، يقول الدكتور فوزي الشايب : (( ينتج الصفير عن قوة الاحتكاك الناتجة عن التضييق الكبير لمجرى الهواء أثناء نطقها بالقياس إلى غيرها. وعند نطق الأصوات الصفيرية يتقلص اللسان بحيث ينفتح على

---

[١] ) ينظر: م . ن ٥٢/١.
[٢] ) شرح المقدمة الجزرية ٩٧.
[٣] ) ينظر: الكتاب ٤٢٠/٢.
[٤] ) المقتضب: ١٩٣/١.

الجوانب مما ينجم عنه ملامسة أطراف اللسان لحواف الأسنان مُشكلة اخدوداً ضيقاً فقط على طول خط وسط اللسان لحصر الهواء أو توجيهه ، وعندما يجبر الهواء على التحرر من هذا الاخدود بحدة ضد اللثة والأسنان يعطي أزيزا مسموعاً هو ما اصطلح على تسميته بالصفير)) [١] .

٦. **القلقلة** : أطلقت هذه الصفة على أصوات (القاف ،والجيم ،والطاء، والدال ،والباء ) إذ لاحظ العلماء وجود طائفة من الأصوات الشديدة لايمكن إتمام نطقها إلاّ إذا اتبعت بصويت يشبه الحركة.

وذكر الشارح هذه الصفة فبين سبب تسميتها قائلاً:(( وإنما سُمّيت بذلك لأنها إذا وقفت عليها حين سكونها تقلقل اللسان بها عند خروجها حتى تسمع له نبرة)) [٢]

وكان سيبويه قد وصفها بأنها أصوات مشربة ، فقال : (( واعلم أنّ من الحروف حروفاً مشربة ، ضغطت من مواضعها ، فإذا وقفت خرج معها من الفم الصويت ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة )) [٣]

وقد ذكر الشارح أن القلقلة لاتحدث إلاّ في حالة الوقف على الحرف وسكونه ، وهو في ذلك متابع لرأي سيبويه وعلماء العربية والتجويد المتقدمين إذ أنهم خصصوا القلقلة بالحرف الساكن وعلة ذلك أن الصُوَّيت الذي يتبع الحرف الساكن سوف يُتوصَل به إلى النطق بذلك الحرف ، فسبب إتباعها بذلك الصويت ، هو قصد بيانها ، إذ لولا ذلك الصويت الذي يتبعها لاختفت ولم تتبين في السمع ، أما في حالة تحرك الحرف فلا يظهر ذلك الصويت ظهوراً واضحاً . وفي ذلك يقول

---

[١] ) محاضرات في اللسانيات: ١٩٦ـ ١٩٧.
[٢] ) شرح المقدمة الجزرية ٩٧.
[٣] ) الكتاب ١٧٤/٢.

المرعشي: (( إنّ حروف القلقلة لاتنفك عن القلقلة عند تحركها وإن لم تكن القلقلة عند تحركها ظاهرة))[١].

وكلام المحدثين حول هذه الصفة مطابقاً لكلام القدامى ،إذ أطلقوا عليها اسم (الحركة المركزية) وقدّروا وزنها بنصف حركة [٢] .

وتناول علماء الأصوات المحدثون بحث آلية حدوث القلقلة ،يقول الدكتور محمود السعران شارحاً تلك الآلية : (( اندفاع الهواء يستمر بالضرورة زمناً محسوساً بعد انفراج العضوين ، وذلك الصوت الانفجاري لا يتأتى نطقه الكامل دون أن يتبع بصوت آخر مستقل عنه ، وهو هذا الهواء المندفع)) [٣] .

٨.**اللين:** تحدَّث الشارح عن هذه الصفة ، فقال:(( أحرف اللين اثنان ، الواو والياء المفتوح ما قبلها نحو حَوْف وبَيْت)) ثم علل سبب تسميتها بلينة ، فقال:(( وإنما سُميتا بذلك لأنهما يجريان بلين وعدم كلفة على اللسان )) [٤] .

وهو بهذا يوافق سيبويه وعلماء العربية وعلماء التجويد في إدراكهم لحقيقة أصوات اللين ، فوصفها باللين ،إنما مستوحى من سهولة نطقها الناتج عن اتساع مخارجها لأن المخرج إذا اتسع انتشر الصوت وامتد ولان ، وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصلب[٥].

ولا يبتعد المحدثون عن هذا الوصف إذ أدركوا طبيعة هذه الأصوات فوصفوها بأنها عبارة عن(( انزلاقات حركية حرّة تبدأ منها أعضاء النطق بتشكيل حركة مقفلة

---

[١] ) جهد المقل ١٤٩ـ ١٥٠.
[٢] ) علم اللسانيات الحديثة:٣١٦.
[٣] ) علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربي :١٣٤ـ ١٣٥.
[٤] ) شرح المقدمة الجزرية ٩٧.
[٥] ) ينظر: الدقائق المحكمة ٣١.

تماما منطوقة على نحو ضعيف ثم تنتقل مباشرة إلى صوت آخر ذي وضوح سمعي مساو أو اكبر فأشباه الحركات تعد صوامت وحركات في نفس الوقت))[١].

٩. **الانحراف:**وهي صفة تطلق على صوت اللام خاصة ، ويقال عنه منحرفاً ، لانحراف اللسان عند النطق بالصوت.

وقد وصف الشارح كلاً من (اللام ،والراء ) بالانحراف متابعاً في ذلك رأي المصنف ، فقال: (( والانحراف صحيحا في اللام والراء ، ... أنّ اللام والراء يوصفان بالانحراف الذي هو لغة الميل.إنما يقال لهما ذلك لانحرافهما عن مخرجهما حتى يصلا بمخرج غيرهما وذلك أن اللام فيها انحراف إلى طرف اللسان، والراء فيها انحراف إلى ظهره وميلاً قليلاً إلى جهة اللام وكاد يجعله الألثغ لأما ))[٢].

فالانحراف بموجب النص المتقدم هو الانتقال بالصوت وتحول مخرجه وانحراف اللسان عنه، ففي صوت اللام ينحرف اللسان فيخرج الصوت من موضع آخر _ أي من جانب الفم _، أما صوت الراء فينحرف مخرجه إلى مخرج النون المجاور له.

فمعنى الانحراف عند الشارح هو التحول من صفة إلى أخرى ،ومن مخرج إلى آخر.

والحقيقة أن وصف الراء بالانحراف عُزي إلى أهل الكوفة،وذهب إليه عدد من علماء التجويد[٣] وهو رأي يحتاج إلى إعادة النظر فالراء لا يلاقي في أثناء نطقه ما يلقاه اللام ((بحيث تنشأ عقبة في وسط الفم مع ترك منفذ للهواء عند احد حافتي اللسان ، أو عن حافتيه ، ويرفع الحنك الأعلى فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف))[٤].على حين أن الراء تكرر فيه ضربات طرف اللسان على اللثة تكرارا سريعا ،ولا يلقى العقبة التي يلقاها اللام، لذا صار مصطلح الانحراف مختصا باللام

---

[١] ) محاضرات في اللسانيات ١٩٩ ـ ٢٠٠.
[٢] ) شرح المقدمة الجزرية ٩٧.
[٣] ) ينظر: الرعاية ١٣١ـ ١٣٢.
[٤] ) علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربي ١٤١.

((لا مجرد كلمة تدل على معنى لغوي ينطبق على أي نوع من أنواع الانحراف))[١].بل هو وصف لكيفية مرور الهواء في مخرج اللام خاصة.

فالشارح هنا يتابع رأي المصنف في اختياره للمذهب غير المشهور.

١٠. **التكرار**: هي صفة لصوت الراء خاصة ،قال الشارح : (( التكرار: هو إعادة الشيء واقله مرة بعد أخرى ،ومعنى قولهم الراء تكرر يعني أنها قابلة للتكرار يعني ارتعاد طرف اللسان عند النطق))[٢].

فالتكرار صفة ذاتية ملازمة للراء لاتنفك عنها ، وهذا مايفهم من كلام سيبويه ،إذ يقول: (( ومنها المكرر ، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام ، فتجافى للصوت كالرخوة ، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء))[٣].

وبحث علماء التجويد مسألة تكرير الراء ، هل هي صفة ذاتية ملازمة للراء؟

فذهب بعضهم إلى ضرورة إخفاء تكريرها والتحذير من إظهاره ، قال مكي: (( هو ارتعاد طرف اللسان بالراء مكرراً لها فإخفاء ذلك التكرير لابدّ منه))[٤].

وذهب بعضهم إلى القول بأنَّ التكرار صفة ذاتية ملازمة للراء[٥].

والذي يفهم من كلام الشارح ضرورة إخفاء تكريرها وتجنب المبالغة، وهذا مايفهم من قوله :(( إنها قابلة للتكرار .... كقولهم لغير الضاحك: بالفعل إنسان ضاحك أي انه قابل للضحك))[٦]

مما تقدم يتضح ان المقصود من ذلك ضرورة عدم المبالغة في تكرارها إلى الحد الذي يشوه الحرف ويخرجه عن الفصاحة وليس ذهابه جملة.

---

[١] ) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٢٣.
[٢] ) شرح المقدمة الجزرية ٩٧.
[٣] ) الكتاب ٤٣٥/٤.
[٤] ) الرعاية ١٩٦.
[٥] ) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد :١١٠، وجهد المقل ١٥٨.
[٦] ) شرح المقدمة الجزرية ٩٧.

وقد وصف المحدثون صوت الراء بالتكرار وبينوا كيفيته ، فهو ناتج عن تكرار ضربات طرف اللسان على اللثة ، وهذه الضربات تحدث بصورة عفوية.

١١. **التفشي:** اختصت هذه الصفة بالشين وذلك لأنّ انتشار الصوت فيها أوضح من غيرها من الأصوات ، وذكر الشارح هذه الصفة ، فقال:(( للتفشي حرف وهو المعجمة تفشت في الفم لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج الطاء))[١].

ونفهم من كلامه أنَّ المقصود من التفشي هو انتشار صوت الحرف في مخرجه وانبساطه فيه ، فهي تتصل بحروف اللسان لقربها منها.

وبهذا يكون الشارح قد وافق سيبويه حين ذكر أن الشين اتصلت بالطاء لحظة تفشيها [٢]، في حين يجمع علماء التجويد على أنَّ الشين تفشت من مخرجها حتى اتصلت بمخرج الظاء لتخالط حروف طرف اللسان[٣].

وأشار الشارح إلى من وصف الشين بالتفشي ، فقال: (( وألحق المتقدمون الثاء المثلثة بالشين في التفشي وقالوا: إنها تفشت حتى اتصلت بمخرج الفاء))[٤].

وهذا الرأي ينسب لمكي بن أبي طالب الذي وصف الثاء بالتفشي ، فقال: (( وقد قيل أنّ في الثاء تفشياً ))[٥] ومن العلماء من أضاف أصواتاً أخرى وجد فيها تفشياً جمعها في قوله (مشفر)[٦].

---

[١] ) م.ن ٩٧.
[٢] ) ينظر : الكتاب ٤٥٧/٤.
[٣] ) ينظر الرعاية : ١٣٤ وجهد المقل ١٣١.
[٤] ) شرح المقدمة الجزرية ٩٧.
[٥] ) الرعاية ١٣٥.
[٦] ) ينظر : الإيضاح في القراءات : ٣١٩.

وفي الحقيقة أنَّ هذه الأصوات لاتخلوا من اثر التفشي إلاّ أنها في الشين أوضح من غيرها من الأصوات والشارح لم يخرج عن رأي الجمهور. وكان دقيقاً في تخصيص التفشي في الشين خاصة.

وقد أطلق المحدثون عليه اسم الصوت الانتشاري ،وعرفه الدكتور عبد العزيز الصيغ بأنه ((الصوت الذي يشغل من عرض اللسان مساحة ينتج بها هذا الوشيش))[١].

١٢. **الاستطالة:** وصف الشارح الضاد بالاستطالة وبيّن المراد منها فقال: (( المستطيل حرف واحد وهو الضاد المعجمة استطالت بالفم لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام ، ولذلك ادغم اللام فيها ...))[٢].

ويفهم من هذا النص أنّ المقصود من الاستطالة هو امتداد صوت الضاد إلى الحد الذي يصله بمخرج الصوت المجاور له ، وهو اللام فيشغل الصوت مساحة كبيرة جداً تمتد من أول حافة اللسان إلى منتهى طرفه ، وبهذا يتميز صوت الضاد من غيره من الأصوات وخاصة الظاء.

وأطلق سيبويه هذه الصفة على (الضاد والشين)، حينما قال:(( إنَّ الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام ))، وقال في وصف الشين :(( الشين استطالت حتى اتصلت بمخرج غيرها))[٣].وتابعه المرعشي فقال : (( كل متفشي مستطيل))[٤].

ولم يعد لهذه الصفة مكانة تذكر في الدرس الصوتي الحديث ، وذلك لأنَّ هذه الصفة لاتصدق إلاّ على الضاد القديمة التي لم يعد لها ذكر أو وجود بفعل عامل

---

[١] ) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية:١٨٠.
[٢] ) شرح المقدمة الجزرية ٩٧ـ ٩٨.
[٣] ) الكتاب ٢/ ٤١٦.
[٤] ) جهد المقل ١٦٠

التطور الصوتي لذا اكتفى المحدثون بترديد مقولات القدامى لعدم امتلاكهم التصور الكافي عنها.

## الخـاتمة

وفي خاتمة المطاف يمكن أن نلخص أهم النتائج التي أسفر عنها البحث التي يمكن إجمالها فيما يأتي:

١. تعد الدراسات الصوتية في شرح المقدمة مكملة للدراسات الصوتية السابقة،مما هيأ مساحة للدراسة والبحث في هذا الباب.
٢. عمد الشارح أن يعرض الآراء الصوتية المجمعة عند أهل اللغة، أما الخلاف فسعى جاهدا بعدم الولوج فيه وذكره.رغبة منه بعدم إشغال أذهان المتعلمين بقضايا الخلاف والعلل.
٣. وافق الشارح سيبويه في كثير من مسائل هذا الباب ،وخالفه في بعضها كما في طريقته في وصف مخارج الأصوات ،وطريقته في ترتيب أصوات المخرج الواحد، كما أوضحنا ذلك في سردنا لجملة الاختلافات بينه وبين سيبويه .
٤. استعمل الشارح عبارتي صفات الأصل وصفات العارض وذلك إشارة منه إلى الصفات المميزة والصفات المحسنة،وهذا مما انفرد به.
٥. يعد الكتاب مكملا للدراسات الصوتية عند علماء التجويد المتأخرين.

## المصادر والمراجع

١. الأصوات اللغوية:د/ إبراهيم أنيس ، ط٢ ، مطبعة الانجلوا المصرية . القاهرة ،١٩٩٥م .
٢. الإيضاح في القراءات : احمد بن أبي عمر الاندرابي (ت بعد ٥٠٠هـ ) ، دراسة وتحقيق منى عدنان غني (أطروحة دكتورا) ، كلية التربية للبنات . جامعة تكريت ، ١٤٣٢هـ . ٢٠٠٢م
٣. التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمر عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت ٤٤٤هـ )، دراسة وتحقيق د/ غانم قدوري الحمد، ط١، مطبعة دار الانبار . الرمادي ١٤٠٧هـ . ١٩٨٨م
٤. التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فنولوجيا العربية) :د/ سلمان حسن العاني ، ط١، مطابع دار البلاد . جدة، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م .
٥. جهد المقل: محمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساجقلي زادة (ت ١١٥٠هـ) ،دراسة وتحقيق د/سالم قدوري الحمد ،ط١ ،دار عمار . عمان . الأردن ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م
٦. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :د/ غانم قدوري الحمد ، ط١ ، مطبعة الخلود . بغداد ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م .
٧. الدقائق المحكمة في شرح المقدمة ، هامش المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية : الشيخ زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ) ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٦٧هـ . ١٩٤٨م .

٨. الرعاية لتجويد القراءة وتحسين لفظ التلاوة : مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق د/ احمد حسن فرحات ، ط١، دار عمار . عمان ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م.

٩. روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد : محمد بن محمود بن محمد السمرقندي(ت ٧٨٠هـ) ، دراسة وتحقيق إبراهيم عواد السامرائي ( رسالة ماجستير)، جامعة صدام للعلوم الإسلامية ١٤١٩هـ _ ١٩٩٩م .

١٠. شرح المقدمة الجزرية : للشيخ عبد الحسين بن جواد بن عبد الحسين المبارك ، تحقيق د/ حيدر فخري ميرنا، مجلة كلية التربية . الجامعة المستنصرية . وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،العدد ٤ ،٢٠٠٦م

١١.علم اللسانيات الحديثة : د/ عبد القادر عبد الجليل ،ط١،دار الصفاء . سلطنة عمان ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .

١٢.علم اللغة. مقدمة للقارئ العربي : د/ محمود السعران ، ط١، دار الفكر العربي . القاهرة ١٤١٧هـ . ١٩٩٨م .

١٣.علم اللغة العام (الأصوات): كمال محمد بشر ، ط١ ، دار المعارف . مصر ١٩٨١م .

١٤.العين: الخليل بن احمد الفراهيدي(ت ١٧٥هـ)، تحقيق د/ مهدي المخزومي و د/ إبراهيم السامرائي ، ط١ ، دار الرشيد للنشر . بغداد ١٩٨٠م .

١٥.الكتاب ، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر المشهور بسيبويه(ت ١٨٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط١، دار الجيل للطباعة . جمهورية مصر العربية ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م :٤/٤٣٣.

١٦.محاضرات في اللسانيات : د/ فوزي حسن الشايب ، ط١، وزارة الثقافة . عمان . الأردن ١٩٩٩م

17.المدخل إلى علم أصوات العربية : د/ غانم قدوري الحمد، مطبعة المجمع العربي ١٤٢٣هـ .٢٠٠٢م

١٨.المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: د/ عبد العزيز الصيغ ،ط١،دار الفكر المعاصر. بيروت ١٤٢١هـ _ ٢٠٠٠م، معجم الصوتيات:د/ رشيد عبد الرحمن العبيدي ، ط١،مركز البحوث والدراسات الإسلامية . جمهورية العراق ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٠م .

١٩.المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد : الحسن من قاسم المرادي(ت ٧٤٩هـ)،تحقيق د/ علي حسن البواب ، مكتبة المنار _ الزرقاء _ الأردن ١٤٠٧هـ _ ١٩٨٧م

٢٠.المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ( ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة،عالم الكتب . بيروت